



عندما تصبح المواجهة مفتوحة، لا يعود هناك كثير حاجة للدبلوماسية، فالمواجهة المباشرة، تظهر خبايا الأنفس وما تخفي الصدور، فكيف بنا والعالم يسير من تطرف إلى تطرف، ومن فوضى إلى أخرى أعم وأشمل؟ وكيف بنا وقد انعدمت الكثير من القيم والمبادئ التي تاجر بها البشر لعقود عديدة، فأصبحت لغة الكراهية ترجمة حقيقة، الواقع هو أبشع بكثير من مجرد أقوال أو تصريحات عنصرية، كرست العنف والكراهية كواقع ومبدأ حياة؟!

الثورة الكاشفة الفاضحة:

منذ انطلاق ثورة الشام على منظومة الحكم الأسدية، وهي في شغل عظيم وسباق مع الزمن، تكشف العورات وتفضح العوار، فاستحققت بذلك لقب الفاضحة الكاشفة، لكنها اليوم تثبت مجدداً، حقيقة أنها الثورة "الربانية المقدسة"، ليس لكمال وإخلاص كل من ركب موجتها، أو انخرط فيها، بل لأنها كشفت الكثير من الحقائق، وأجبرت الجميع على إظهار وجههم الحقيقي وبلا رتوش، وهي ثورة مستمرة في الفرز والتمحيص.

لقد أدى إصرار الشعب السوري على التغيير، إلى تغول نظام الأسد وولوغه في الدماء والأعراض، عدا عن التدمير والتغيير الممنهج، وهو بكل تأكيد ما كان ليتحقق في ارتکاب كل هذه الجرائم بحق الإنسانية، لو لا ما تيسر له من دعم عسكري، ومالی، واقتصادي، وغطاء سياسي، وأعلامي قدمته جهات إقليمية ودولية كثيرة، كان على رأسها الخمسة الكبار.

وقوف العديد من القوى الإقليمية والدولية، إلى جانب نظام الأسد، لم يكن مبرراً بال بتة، الأمر الذي شكل فضيحة أخلاقية وإنسانية للمجتمع الدولي، الذي يدعي الحضارة والإنسانية ويرفع شعار حقوق الإنسان والحيوان، لكنه سمح للمجرم بارتكاب فظائع يندى لها جبين البشرية.

قد لا يحتاج المتابع إلى كبير عنااء كي يكتشف أن الكيان الصهيوني الذي تسيطر لوبياته على العديد من الأنظمة العالمية وخاصة الغربية منها، هو صاحب القرار الفعلي في منع إسقاط نظام الأسد، لكن هذا الأمر لا يمنع أن مصالح جهات كثيرة قد تلاقت، واجتمعت على إفشال ثورة الشعب السوري، كما بقية ثورات العرب، وهو ما حَوَّلَ ربيع العرب إلى خريف بائس وفوضى عارمة، لن تتوقف عند حدود هذه الدول.

إن ما ارتكبه نظام الأسد المدعوم طائفياً، وإيرانياً، دولياً، وحتى عربياً، بحق سورية وشعبها، وسماحهم له بالبقاء على سدة الحكم، هو ما أسس لكثير من الأحداث التي ستأخذ العالم باتجاه جديد، عنوانه العنف والتطرف والعنصرية، ما سيعزز

الشعور بالكرهية بين أمم وشعوب هذا العالم، وسيكتشف الجميع ولكن بعد فوات الأوان، أن دعمهم وسكتهم عن جرائم الأسد، كان خطأ قاتلا سيدفع ثمنه الجميع.

تحالف اليمين اليهودي المتطرف:

قبل أيام قدم وزير الدفاع الإسرائيلي، موشي يعالون، استقالته من الحكومة والكنيست الإسرائيلي، وأعلن اعتزاله الحياة السياسية بسبب ما وصفه بشعور عدم الثقة برئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، حيث جاءت استقالة يعالون بعدما عرض نتنياهو حقيقة وزارة الدفاع على زعيم حزب "إسرائيل بيتنا"، أفيغدور ليبرمان، الذي يمتلك 6 مقاعد في الكنيست، وهو ما يمكن تفسيره برغبة نتنياهو توسيع ائتلافه الحاكم الذي لا يتمتع سوى بأغلبية مقدر واحد، "يعالون" أكد أن "إسرائيل"، فقدت "البوصلة الأخلاقية"، واتهم "أقلية صارخة بمهاجمة القيم الأساسية في البلاد"، بحسب موقع "تايمز أوف إسرائيل".

"ليبرمان" قد يبدو الأكثر تطرفا ويمينية بين المسؤولين الإسرائيليين، لكنه ربما ليس كذلك، فكل ما في الأمر أنه الأكثر وضوحاً وصراحة وتعبيرًا عن السياسة البشعة والحقيقة لحكومات ومسؤولي الكيان الصهيوني المتطرف، تصريحات ليبرمان العنصرية، فضحت الكثير من السياسات والتوجهات الإسرائيلية، وأسهمت في توضيح الصورة الحقيقية لهذا الكيان، خاصة لدى الشعوب الغربية.

حقيقة الصراع في "إسرائيل":

الحقيقة التي قد تغيب عن أذهان الكثيرين، هي أن الصراع بين الأحزاب السياسية والدينية في "إسرائيل"، هو صراع يعكس طبيعة المجتمع الإسرائيلي، كون هذا الصراع، يدور بالأساس حول من يستطيع أن يكون متطرفاً وعنصرياً أكثر، وبالتالي العمل على تحقيق حلم "الدولة العبرية الخالصة"، هذه الطبيعة التي حاولت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة إخفائها، وإظهار "إسرائيل" أمام العالم على أنها دولة ديمقراطية حضارية، مما الذي دفع بنتنياهواليوم للمغامرة بسمعة إسرائيل أمام العالم، فيختار الحفاظ على ائتلافه الحاكم، من خلال ضم مزيد من المتطرفين اليهود، إلى حكومته اليمينة المتطرفة أساساً؟

لا شك أن قرار نتنياهو هذا، لم يكن اعتباطياً، ولا بمعزل عن مجل التطورات والمستجدات إقليمياً ودولياً، وبالتالي فهو ما كان ليجاذف بهكذا خطوة لو لا أنه قرأ المعطيات جيداً، وفهم أن الأرضية قد باتت مهيئة داخلياً وخارجياً للمضي قدماً في إنتهاج خط العنف والتطرف والعنصرية، وهو بهذا ربما ينطلق من عاملين رئيسيين هما.

الأول: استغلال الفوضى الحاصلة في المنطقة واتخاذها ذريعة لحماية أمن "إسرائيل" من المخاطر المحدقة بها، نتيجة انهيار عدد من أنظمة الحكم العربية، وتوقعات بانهيار أنظمة أخرى، خاصة تلك التي شكلت جيوش بعضها، طوقاً أمنياً وسوراً، وفر لإسرائيل الأمان لعقود.

الثاني: الاستفادة من نمو ظاهرة العنصرية عالمياً، حيث باتت هذه الظاهرة سمة عالمية، تتخذ المنحى التصاعدي يوماً بعد يوم، وليس أدل على ذلك من نمو الأحزاب اليمينية المتطرفة، وازدياد شعبيتها في أوروبا والعالم، ولنا أن تخيل الحالة التي وصل إليها عالمنا، من خلال الشعبية الكبيرة لمتطرف عنصري يميني، دونالد ترامب، الذي بات المرشح الأوفر حظاً لحكم أمريكا والعالم.

الولايات المتحدة وتأجير العقارات ترامب:

أما ترامب، المثير للجدل، فإنه وعلى ما يبدو بات المرشح الأوفر حظاً للوصول إلى البيت الأبيض، حيث حصل حتى الآن على أصوات 1238 مندوباً انتخابياً للحزب الجمهوري، في حين أن العدد المطلوب لنيل ترشح الحزب هو 1237، كذلك فإن

ترامب لا يزال يملك فرصة الحصول على 303 صوت إضافي، في 7 حزيران/ يونيو، وذلك عندما سيدي리 الناخبون في كاليفورنيا وأربع ولايات أخرى بأصواتهم.

ترامب كان تعهد بعدم قتال الأسد، ولا حتى المساعدة في تحيته، فهو يعتبره شخصاً جيداً، ولا يوجد مشاكل للولايات المتحدة معه، لكنه وفي المقابل تعهد بطرد كافة اللاجئين السوريين، في حال فوزه بانتخابات الرئاسة الأمريكية.

ترامب والسلاح النووي:

ترامب وفي حديث خاص لشبكة "إن بي سي" الأمريكية، بتاريخ الثامن والعشرين من شهر أبريل // نيسان من هذا العام، أكد أنه لن يكون سعيداً باستخدام السلاح النووي، وسيكون آخر شخص يستخدمه، لكنه أردف قائلاً: "إنه لأمر مروع أن تستخدم السلاح النووي لكنني لن أستبعده كخيار". كلام ترامب هذا، كان ردًا على سؤال للشبكة حول إمكانية استخدام السلاح النووي في أوروبا، أو ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا.

وصول ترامب إلى سدة الحكم، في الولايات المتحدة الأمريكية، يعني وبلا أدنى شك، أن هناك مشكلة أخلاقية مستفلحة لدى الشعب الأمريكي، وهي ترجمة لتنامي العنصرية والتطرف لديه، وستكون بمثابة الصدمة ليس فقط لكثير من الأمريكيين، بل للعالم أجمع.

الحال بوتين وحربه المقدسة:

على الجانب الآخر من العالم حيث يتواجد الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين"، الحال بأمجاد قياصرة الزمن الغابر، لا يبدو مشهد العنصرية والتطرف مختلفاً جداً، مما هو حاصل في "إسرائيل" والولايات المتحدة، فيبوتين خريح جهاز الـ "كي جي بي" المskون بعقلية الإستخبارات وجنون العظمة، هو أحد أكثر الرؤساء دموية وإجراماً، ولا يتورع عن فعل شيء وحتى عن قتل مواطنه، طالما أن ذلك يحقق أهدافه السلطوية، وما فعله في الشيشان وكرواتيا ويفعلهاليوم في سوريا لخير دليل على دمويته المغلفة بشرعية دينية منها إياها أساقفة الكنيسة الأرثوذوكسية الروسية.

بوتين نصب روسيا كحامية لمسيحيي الشرق الأوسط، حيث يتبع غالبيتهم للكنيسة الأرثوذوكسية، وهو يتخذ من هذا الأمر وسيلة للتدخل الفاضح في سوريا، ويستند في عدوائه إلى فتوى رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذوكسية البطريرك كيريل، الذي وصف الحرب الحالية في سوريا، بأنها حرب مقدسة، ووصف المقاتلين الروس فيها بالمقاتلين المحبين للمسيح، كيريل لم يكتف بهذا بل قام بنفسه بعميد ومبركة بوتين وحتى الأسلحة والمعدات الذاهبة لقتل السوريين.

عنصرية وإجرام بوتين تجلت في استهداف طائراته المباشر للمستشفيات والأسواق والتجمعات السكنية، وارتكابه لمجازر في معظم المدن السورية.

قواسم مشتركة وتنافس في العنصرية والتطرف:

من هنا ينسى اقتراح ليبرمان في العام في عام 2015 "قطع الرأس بالفأس"، عقاباً لكل من لا يكن الولاء من عرب "إسرائيل" للدولة؟ ومن ينسى أن ليبرمان قد قدم إستقالته من منصبه كوزير للخارجية احتجاجاً على عدم قيام نتنياهو بتدمير قطاع غزة واحتلال حماس، وتهديده قبل حوالي شهر ونصف من اليوم، بقتل إسماعيل هنية خلال 48 ساعة من تسلمه حقيبة الدفاع، مالم يقم بحل قضية جثث الجنود اليهود المحتجزة لدى حماس.

ليس هذا وحسب فليبرمان ومن خلال التسريبات لم يوافق على الإنضمام لحكومة نتنياهو إلا بعد موافقة الأخير على إحياء مقترن ليبرمان القاضي بإعدام أي فلسطيني ينفذ عمليات ضد اليهود في فلسطين، حيث كان هذا القانون المقترن، وعدا

ليبرمان ربما لا زال يفكر بنفس عقلية الحارس الشخصي لأحد الملاهي الليلية في مولدوفا.

قد تبدو تصريحات "أفيغدور ليبرمان" وزير دفاع "إسرائيل" الجديد، القاضية بقطع رأس العربي الذي لا يدين بالولاء لدولة إسرائيل بالفأس، ورغم عنفها وتطرفها، قد تبدو معتدلة إذا ما قورنت بتصريحات المرشح الرئاسي الأمريكي عن الحزب الجمهوري، "دونالد ترامب" التي دعى فيها إلى طرد المسلمين وقتل المتطرفين منهم برصاصة مغمسة بدم الخنزير، وكذلك قوله، أنه سيأمر القوات المسلحة الأمريكية بقتل عائلات الإرهابيين الذين يهددون الولايات المتحدة، ليتراجع بعد ذلك عن هذا التصريح، مؤكداً أنه لن يأمر القوات الأمريكية بمخالفة القانون الدولي أو الأمريكي.

إن هكذا تصريحات تظهر مدى الحقد والكراهية، التي يضمّنها بعض كبار ساسة ومسؤولو العالم، تجاه العرب والمسلمين، وبات بعضهم لا يخجل من المجاهرة بها، وهو ما يعتبر دليلاً دامغاً على تنامي تيار الشعوبية السياسية ذو الصبغة العنصرية، الذي استطاع حشد الغوغائية الأمريكية، خلف شخص دونالد ترامب، الذي لا زال لا يعرف ماذا يريد، فتراه يحارب طواحين الهواء، وعلى ألف جبهة، ويسقطُ السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، ويتعامل معها على أنها صفة عقار، يفوز بها التاجر الذي يفاوض بمهارة.

علاقة طيبة هي تلك التي تجمع بين ترامب وبوتين، حيث تبادلا رسائل الثناء والمديح، في حين أن القاسم المشترك الأهم بينهما، هو دعم لا محدود لـ"إسرائيل" والتزام بأمنها، أما القاسم المشترك بين جميع الزعماء الشعوبيين حول العالم، فيتمثل في عدائهم الشديد للعرب والمسلمين، عموماً واللاجئين الفارين من جحيم الحرب والفوضى في سوريا والعراق وأفغانستان خصوصاً، هذه الدول التي تسبب الغرب نفسه في الخراب الذي آلت إليه حالها.

بوتین كان أبلغ إسرائيل بشكل واضح، أنه غير مستعد لإخفاء أي معلومات عنها، في كل ما يتعلق بالأوضاع في سوريا، وقد سُرِّبَ أن بوتين قد تحدث في أحد الإجتماعات مخاطباً رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي "جادي إبنكوت" قائلاً: "إذا ثبت مرة أنتا نحفي عنكم معلومات، فسأعطيك زجاجة فودكا".

من المتوقع أن تصبح العلاقات الروسية - الإسرائيلية الدافئة، أكثر دفناً مع وجود اليهودي "ليبرمان" المولود في "مولدوفا" احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي، وزيراً للدفاع، حيث صرَّح "ليبرمان" في أحد المقابلات قبل تولي منصبه الجديد قائلاً: "تجربتي، هو أنه يمكنك القيام بالعمل مع الروس. فهم براجماتيون، ويمكنك أن تتم الصفقة معهم وتحصل على جواب واضح، روسيا قريبة من هنا، ولن تقوم أبداً بالتخلِّي عن مصالحها في الشرق الأوسط، وهي قوة كبيرة جداً لا يمكن تجاهلها".

في حادثة رمزية تدل على دفع العلاقات الروسية - الإسرائيلية، وافق الرئيس الروسي بوتين على طلب نتنياهو بإعادة دبابة إسرائيلية كان الجيش السوري قد غنمها في لبنان، وأهداها لروسيا التي عرضتها في متحفها العسكري، حيث أصدر بوتين قرار رئاسي يقضي بإعادة الدبابة لـ"إسرائيل"، دون اخذ موافقة الأسد. الموافقة الروسية ستسهم في مساعدة نتنياهو على تعزيز شعبيته، وذلك من خلال الظهور بمظاهر الحريص على مشاعر مواطنيه وذكرى قتلامهم، وهذا أحد الأمثلة على الطريقة التي يستخدمها الشعوبين، في توظيف الأحداث لصالح أجنداتهم الخاصة.

الشعبوية الديماغوجية:

"الشعبوية" هي فلسفة تعتمد على دغدغة عواطف الناس، من أجل اكتساب شرعية الحكم والقرارات المتخذة، وتعتمد على

"ديماغوجية" تتألف بدورها من مجموعة أساليب وخطابات وحيل سياسية، يعتمدها الساسة في مواسم الانتخابات لإغراء الشعوب بوعود وهمية كاذبة، ظاهراً مصلحة الشعب، وباطناً الوصول إلى الحكم.

المثير للقلق فعلاً، هو أن هذه الظاهرة لن تقتصر على ثلاثة الكبار "بوتين، ترامب، نتنياهو"، فظاهرة الشعبوية - الديماغوجية، باتت أشبه ما تكون بعذوى تنتقل من بلد إلى آخر، وهناك شعبويون عنصريون وصلوا بالفعل إلى سدة الحكم في دولهم كزعيمي بولندا وهنغاريا اليمينيين، وأخر هو اليميني العنصري "نوربرت هوفر" المرشح المهزوم بفارق ضئيل في انتخابات الرئاسة النمساوية، في حين أن هناك آخرين متحفزين للثواب إلى السلطة في دولهم، من أمثال رئيسة حزب الجبهة الوطنية الفرنسية "مارين لوبن"، ورئيس بلدية لندن السابق "بوريس جونسون" الذي يقود حملة انفصال بريطانيا عن الإتحاد الأوروبي، وكذلك رئيس حركة النجم الخمس الإيطالية "بيبي غريلو". أما آسيويا فقد نجح ترامب الفلبيني "روبرغو دوتيرتي" في الوصول إلى السلطة. فإذا ما أضفنا لهم الرئيس الكوري الشمالي "كيم جونغ أون" الذي لم يتورع عن إعدام حتى المقربين منه وبطرق وحشية، إضافة إلى تهديده المتكرر باستخدام السلاح النووي ضد الولايات المتحدة، وحتى بمسح الجارة الجنوبية من الوجود، فإننا سنجد أنفسنا أمام سيناريو مرعب، ويثبت ضرورة مكافحة هذه الظاهرة والتصدي لها، قبل أن تصبح مزاجا عاما سائدا، سينتج من هم أشد طرفا وخطرا بمراحل عديدة من هتلر.

الشخص الذي لا يحمل سوى مطرقة، سيرى كل شيء مسماراً، هو مثل ينطبق على كثير من الزعماء والقادة أهمهم، الثلاثي "بوتين، نتنياهو، ترامب"، وهو مسيحيان وبهودي، ثلاثة زعماء تجمعهم العنصرية والتطرف، إضافة إلى التعجرف والاستعلاء وشيء من تهور وغباء، فإذا ما قدر لهم أن يكونوا على سدة الحكم في الوقت عينه، فإنهم وبلا أدنى شك، سيشكلون ثلاثة العنف والتطرف والعنصرية العالمي القائم، وقد يأخذون العالم إلى حتفه، سيما وأنهم يتربعون على عرش أهل ثلاثة دول في العالم، وتمتلك أحدهما وأخطر ما توصل إليه البشر من أسلحة دمار شامل، حيث لا يحتاج تدمير العالم لأكثر من قرار طائش غبي، قد يتخذه أحدهم.

حتى الديمقراطية يمكن أن تأتي بزعماء عنصريين مستبدون يحظون بشرعية شعبية، ومن يدرى فربما يكون ترامب أحد هؤلاء، لكنه وبكل تأكيد، قد يكون هو الدمية أو الأداة التي طال انتظارها، ليتم استخدامه في تدمير هذا العالم، حيث يعتقد البعض أن عالمنا قد تضخم بشريا وبات بحاجة إلى حرب مدمرة، تقلص عدد سكانه إلى ما دون الربع.

ثلاثة عنصريين متطرفون، قد يجتمعون على حكم العالم، في نفس الوقت الذي سادت فيه الفوضى وأصبح الإرهاب سياسة دول مبررة ينتهجها القوي بحق الضعيف، وهو ما أنتجت التطرف ليصبح هو اللغة التي يخاطب بها الجميع، فإلى أي مصير أسود مجهول سيأخذون البشرية. وهل هو الدم السوري، الذي اشتركتوا جميعاً في سفكه، سيتحول إلى لعنة وفتنة دهماء تضرب بيدها ورجلها، وتتسقى العالم من نفس الكأس المرة، التي شرب منها السوريون؟